

# المسيحية نشأتها وتطورها

كتاب  
فكري  
مقال

## مقدمة

تعريف بالمؤلف :

( د . شارل جينبير )

■ مؤلف هذا الكتاب

، المسيحية : نشأتها

وتطورها ، ولد من أبوين

نصرانيين في البيئة الريفية

الفرنسية وهي بيئة

كاثوليكية متعصبة ، نشأ

المؤلف كاثوليكياً متأثراً

بهذه البيئة .

تعلم في المدارس

الفرنسية ، وانتهى به الأمر

إلى نيل شهادة الدكتوراه

وانتظم في هيئة التدريس

الجامعي ، وكان متخصصاً

بتاريخ الأديان على وجه

العموم ، لكنه أخذ شيئاً

فثيناً يتعمق بدراسة

الديانة النصرانية حتى

أصبحت محور تخصصه

فاصبح أستاذ تاريخ

النصرانية في أكبر جامعة في

فرنسا ، وهي جامعة باريس

ثم وصل إلى رئيس قسم

تاريخ الأديان في الجامعة ■

تأليف : د. شارل جينبير

رئيس قسم الأديان بجامعة باريس

ترجمة : الشيخ عبد الحليم محمو د

شيخ الأزهر السابق

عرض و تحليل : محمد شلبي

اختار الشيخ عبد الحليم محمو هذا

الكتاب ليتبين القارىء العربي رأي كاتب

نصراني في كثير من القضايا النصرانية

المثارة على مدى التاريخ الإنساني .

يقول الدكتور عبد الحليم محمو

بالنسبة لنا - أهمها ، لأنه يصور لنا

النصرانية في نشأتها :

كيف كانت ؟ كيف تطورت ؟ ما هي

العوامل التي جعلتها تتطور ؟

والمؤلف حينما يتكلم أو يبحث في هذا

الموضوع ، إنما يتكلم فيه كعالم من

علماء التاريخ ، وليس كعالم من علماء

الدين ، أي أنه لا يتكلم باسم الأديان ،

وإنما يتكلم باسم التاريخ ، وفرق بين

وجهتي النظر .

إن الذي يتكلم باسم الإيمان

النصراني يتكلم وهو واقع تحت تأثير

عقيدة معينة ألفها ، وتعودها ، وشربها

مع ماء البيئة ، وتنفسها مع هوائها .

إنها - إذأ - التي توجهه ، وتتحكم

فيه ، وتقوده .

أما المؤرخ الموضوعي فإنه يتجرد من

كل ذلك ، ويدرس الموضوع بحسب

الواقع التاريخي ، غير متأثر في أحكامه

بالعقيدة النصرانية .

درس « شارل جينبير » النصرانية

دراسة المؤرخ المتمق الباحث في الآثار ،

وفي مختلف المتابع التي تقوده إلى الحق .

النصرانية انفصلت عن المسيحية

ووصل « شارل جينبير » في نهاية

ومن أجل النصرانية درس بعض

اللغات كالعبرية واللاتينية ولكنه درس

بعمق الجو الذي نشأت فيه النصرانية ،

وهو الجو الديني العبري ، أي المجتمع

العبري والديانة اليهودية ، هذا المجتمع

الذي نشأ فيه السيد المسيح ، وقضى فيه

حياته القصيرة نسبياً .

وأصدر المؤلف كتاباً ضخماً يقرب من

ستمائة صفحة بالخط الدقيق تناول

تفصيلاً للحياة الروحية والاجتماعية

التي رافقت ظهور السيد المسيح .

وكان يدعى في مختلف الاقطار

ليحاضر عن النصرانية ، وأخذت كتبه

تتوالى وإنتاجه يروج ، وكان قمة من قمم

الفكر والتاريخ .

ذلك هو « شارل جينبير » الذي مات

بعد الحرب العالمية الثانية .

وهذا الكتاب هو عن تاريخ النصرانية

في القرون الأولى ، ولقد صدر له كتاب عن

النصرانية في العصور الوسطى ، وآخر

عن النصرانية في العصور الحديثة ..

وهذا الكتاب « المسيحية : نشأتها

وتطورها » هو حلقة في كتاب عام .

المؤرخ الموضوعي ...

وإذا كانت هذه الكتب ذات أهمية

بالغة ، فإن الكتاب الذي بين أيدينا - كما

لا يحتاج لتحقيق كماله إلى ولد .  
لأن إرادة الولد - حتى ولو لم يكن مولوداً بل كان مخلوقاً - نقص في الإله ، وهذه مسألة تتناول ( الأب ) .  
والمسألة الثانية التي تتناول ( الإبن ) وهي : أنه على أي وضع تصورته يكون إما مولوداً وإما مخلوقاً ، فهو لا مناص قد سبقه عدم ، وأنه وجد بعد عدم ، فلا يكون إلهاً !!

لماذا ؟ لأنه حادث ، سواء اكان مولوداً أم كان مخلوقاً !!!

إنه - مهما حاولت - ليس كاملاً ، ومهما أوتيت من عبقرية لتثبت أن المولود أو المخلوق كامل كمال الإله ، فسوف تخفق إخفاقاً كاملاً .

### تصحیح القرآن للعقيدة ...

والصورة الكاملة لله هي الصورة الدينية الموحى بها قبل النصرانية الحالية ، وهي الصورة الدينية التي صححها الإسلام ، فأعطى الصورة الصادقة التي أنزلها الله سبحانه على رسوله ﷺ .

والقرآن يتحدث عن عيسى عليه السلام باسم الواقع التاريخي الصادق ، ويتحدث عنه باسم المنطق .

أما عن الواقع التاريخي فإنه يقول : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٦٤) . ويقول :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ، وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢٥-٢٦) . ويقول :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ، تَخَادَتِ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَجْرُ الْجِبَالُ هَذَا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (مریم : ٨٨-٩٣) .



● الشيخ د. عبد الحلیم محمود  
الإسلام یوجب علی أتباعه  
وواجباً حمیماً ایمان بعیسی  
علیه السلام نبیاً ورسولاً ●

## المؤلف يبحث في موضوع النصرانية كعالم من علماء التاريخ وليس كعالم من علماء الدين ، إنه يتجرد من كل تأثير ويدرس الموضوع بحسب الواقع التاريخي .

وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح عليه السلام .

أصل الخطأ ترجمة كلمة « عبدالله »

لقد بين المؤلف أن النصرانية بدأت تنفصل منذ أن دخلها « القديس بولس » وأن عقيدة بنوة المسيح ، إنما كانت اثرأ لخطأ في ترجمة كلمة : « عبد الله » التي يقولها السيد المسيح كثيراً ..

كيف يترجم : عبد الله ؟ أترجمها « القديس بولس » بكلمة « طفل » أم يترجمها بكلمة « خادم » ؟

واختار « بولس » أن يترجمها بكلمة « طفل - طفل الله » .

وكان لذلك تغيير هائل بالفكرة الدينية عن صورة الإله في الفلسفة عامة ، وفي الدين النصراني خاصة .

مناقشة أساس النصرانية « بنوة الإله »

ويناقد الكاتب فكرة البنوة فيقول : إن الصورة عن الألوهية إنما هي الصورة التي تتسم اتساماً تاماً بالكمال ، وهذه هي الصورة التي رسمها الفلاسفة المؤلفون : أفلاطون ، وأرسطو وغيرهما . فالكمال لا يكون له أولاد ! إنه لا يولد ، لأنه كامل في ذاته

دراسة بلغت نصف قرن إلى نتائج اطمأن إليها .

هذه النتائج يتفق بعضها مع ما قرره القرآن الكريم ، وإنه ليسعد المسلم أن يعلم أن المؤلف النصراني قد وصل ببحثه المجرد إلى ما قرره الإسلام في جوهر النصرانية ، وفي صميمها ، والواقع أن النصرانية - في وضعها الراهن - قد انهارت انهياراً تاماً تحت قلم مؤلف الكتاب .

واقصد بذلك النصرانية التي انفصلت عن مسيحية المسيح عليه السلام .

لقد بين المؤلف أن مسيحية السيد المسيح عليه السلام كانت في غاية البساطة ، وأن السيد المسيح عليه السلام كان يعلن التوحيد ، ويؤكد أنه عبدالله ورسوله ، وأنه بعث لخراف بني إسرائيل الضالة ، أي أن رسالته كانت خاصة ببني إسرائيل ، وكان همُّ السيد المسيح - كل همه - أن يدعو إلى الخلق الكريم ، يدعو إلى الرحمة والمحبة والتعاطف ، ولم يدخل قط بتفاصيل العقائد ، ولم يتحدث عن شريعة .

وبالتوحيد والخلق الكريم يتلخص جوهر دعوة عيسى عليه السلام ، أما النصرانية الحاضرة بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر ، فإنها غريبة



● أرسطو

رسم للافهية صورة تنسم بالكمال ●

رسالته ستتطور هذا التطور الذي أصبحت له طقوس وشعائر، وكنيسة وقساوسة ورهبان، وكل ذلك يتحدث عنه بقلم المؤرخ الذي لا يرى إلا النصوص والوثائق.

وإذا انتفت عقيدة « البهوية » وعقيدة « التثليث » عن المسيحية الحاضرة فقد انتهت تماماً.

لقد طبع كتاب « المسيحية : نشأتها وتطورها » في فرنسا ونشر بها .. بل لقد كان المؤلف يدرسه في جامعة السوربون، ويؤدي فيه الطلبة امتحاناً.

والغريب في أمر الناس - كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود - أن ديناً كهذا الدين يستمر ويبقى وينتشر، ويجد من يقوم بالتبشير به، ولكنه الإلف والعادة والتشبع بهذا الدين مع اللبن من ثدي الأم، ومع الأم ذاهبة بالطفل إلى الكنيسة وعائدة به منها !!

وقد أورد المترجم في تقديمه لهذا الكتاب بعض النصوص التي ذكرها المؤلف في كتابه لكي يدلل على صدق ما ذهب إليه، منها قوله :

تعارض الأناجيل !!!

... وتصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى (تركيبات) واضحة التعارض للأحداث والاحاديث نفسها، مما

إنه سبحانه يريد فيكون ما أراد، وهو لذلك في غنى عن مساعد معه أو معين.

وهكذا صحح الإسلام صورة الإله التي كانت النصرانية أن تلمس حقيقتها، والتي لا زالت تحاول طمسها !!!

نفي التثليث ...

ولقد نفى المؤلف « د. شارل جينيبيير » عن المسيح عليه السلام القول بالتثليث، هذا القول الذي لا يفهمه النصارى أنفسهم، ولا يفهمه كل من له عقل.

إن الثلاثة ليست واحداً كما يقولون، وإن الواحد ليس ثلاثة كما يقولون، وأي عقل يمكنه أن يفهم أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة !!!

ويقول الشيخ عبد الحليم محمود : كل هذا اللامفهوم بلا مفهوم جديد، إنه يقول : « أومن بالمسيحية لأنها دين غير معقول » !!

وإنه حقيقة دين غير معقول، أتعمل أن يتقلب الخبز إلى جسد المسيح، والخبز إلى دم المسيح !! فإذا أكلت الخبز وشربت الخمر حل فيك جسد المسيح وبمه وأحدث به !!!

إن هذا غير معقول، ولكنه عقيدة النصارى !!

طقوس لا أساس لها !!

لقد نفى المؤلف الدكتور « شارل جينيبيير » عن السيد المسيح الاعتقاد بأن

أما من وجهة النظر المنطقية فمنها :  
﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ، مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُزِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾  
(يونس : ٦٨-٧٠).

إنه سبحانه غني، إنه غني غني مطلقاً، وهذا الذي يسعى وراء الولد، أو يتخذه، أو يتبناه، أو .. أو ... إنما هو الفقير، وهو المحتاج : في العواطف، في الأعمال، في التصريف.

ولكن الله هو الغني سبحانه ..  
ويقول سبحانه :  
﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (مريم : ٣٥).

و ﴿ سبحانه ﴾ هنا - كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود - في غاية الجمال أي : تنزه عن ذلك وتعالى عنه، فهو الله إذا أراد أمراً كان ما أراد.

■ بعد دراسة نصف قرن اطمأن شارل جينيبيير إلى النتائج التي وصل إليها والتي يتفق بعضها مع ما قرره القرآن الكريم في جوهر النصرانية ..

يمكن أن نسميه إيمان الاثني عشر » .

ويقول :

« ... انهزمت النصرانية الاولى في الصراع الروحي الذي خاضته وقبلت الكنيسة في الواقع هذا الانهزام ، واعتمدته ، مكتفية بان تتحول إلى موضوع للتامل الديني لدى المؤمنين ، تلك المثل التي كانت تنطوي في البداية على جوهر الإيمان ، والتي كانت هي علة الإيمان الاولى » .

الغريزون لم يكونوا مسيحيين قط

وفي نهاية الكتاب يقول المؤلف :  
« ... تستطيع القول إن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور اللاحقة ، وإن الديانة التي انشئوها على أساس منهار - باجتهادهم الخاص - كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها ، عن المسيحية الشرقية .. ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكري والروحي ، متمشية مع عواطفهم ونزعاتهم ، وإن صبت في قوالب تعبيرية لا توافقها تمام الموافقة !! »

خلاصة القول : إن الغربيين لم يكونوا مسيحيين في يوم من الايام ... » .

ويعود ... فقد كانت هذه جولة في كتاب « المسيحية : نشأتها وتطورها » للدكتور « شارل جينبير » الذي اوضح بما لا يدع مجالاً للشك كيف نشأت المسيحية وكيف تطورت ، وقد جاء في كثير من آرائه متمشياً مع ما جاء في القرآن الكريم عن المسيح وامه عليهما السلام ، فالإسلام كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود مترجم الكتاب :  
يوجب على أتباعه وجوباً متمشياً بالإيمان بعيسى عليه السلام ، نبياً رسولاً ، ومباركاً ووجيهاً في الدنيا والآخرة .



● اقلاطيون :  
الكامل لا يكون له ولد ... » .

الاستعمال بالنسبة إلى عيسى .

الكنيسة ...

يقول : « ... إن المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يردّها ، ولعل هذه القضية اكثر الامور المحققة ثبوتاً لدى اي باحث يدرس النصوص الإنجيلية في غير ما تحيز ، بل إننا نؤكد أيضاً ان الفرض العكسي لا يمكن ان يوجد له سند تاريخي مقبول ... » .

يقول أيضاً : « ... ولنتامل قليلاً في امر نصرانية القرون الوسطى : كانت ديناً يبغى العالمية ، ويتخذ الحرب وسيلة لها ، ديناً متعصباً شديد التعصب ، لا يقبل - بالنسبة للعالم الخارجي - انصاف الحلول .

وكانت ملثقي لعدد كثير من العقائد التي لا يستسيغها المنطق ، ومن الطقوس الدقيقة المتشعبة التي حملت قدراً وافراً من رموز السرية والفعالية ... » .

يقول المؤلف :

« ... ومع ذلك فالحقيقة الثابتة التي لا جدال فيها هي ان الكنيسة لم تتمكن من الانتصار خلال القرن الرابع إلا بفضل انهزام الإيمان الاول الذي

ينحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخاً نابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواء وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه ... » .

وقوله : « ... لنلحظ في ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصاً كثيراً ، وفجوات خطيرة ، نلحظها حتى في إنجيل « مرقص » الذي بلغ به الحرص أن تحاشى الحديث عن مولد عيسى عليه السلام وطفولته ... » .  
وقوله عن المسيح :

« ... ولم يقل المسيح عن نفسه إنه ( ابن الله ) وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوي فاحش ، وضرب من ضروب السفه في الدين ... » .

« ... كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ( ابن الله ) على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى النصارى الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، إنها اللغة التي استخدمها القديس « بولس » كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع ، وقد وجد فيها معاني عميقة ، وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما ... » .  
ويقول المؤلف الدكتور « شارل جينبير » :

« ... وهكذا فإن النصوص لا تقدم إلينا الخبر اليقين فيما يتعلق بتفكير عيسى الخاص بمبادئ رسالته ، وبصفات شخصيته ، وبمدى دوره الذي أدّاه ، إلا أننا لابد أن نقر واقعاً واضحاً للعيان ، وهو : أنه لم ينجح في دعوته ، وأن مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدقوا بالرسالة التي نسبها إلى نفسه ، ولم يسيروا على نهج الأخلاق التي أراد أن يوحى بها إليهم ... » .

ويقول :

« ... ولم يكن الإثنا عشر ليوافقوا عن نعت عيسى بـ ( ابن الله ) مكتفين بتعبير ( خادم الله ) ، أما عند « بولس » فلقب ( ابن الله ) لقب كثير